المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والاربعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢ شوال سنة ١٣٣٤

تذكار لورد كتشنر

حديث سلطاني عظيم الشان

تشرفت برفع فريضة التبريك لمولانا السلطان المعظم يحلول شهر الصوم المبارك فتفضل عظمتهُ وحادثني في مواضيع شتى وبالطبع ابتدأ الحديث عن حر القاهرة بالنسبة الى الاسكندرية في هذه الايام واشتداد الحر في القطر كلهِ فوق المعتاد . فقال عظمتهُ انهُ رأى بعينهِ فائدة هذا الحر في نمو القطن فقد وجدهُ نما في الثلاثة الاسابيع الماضية نموًّا لم يعهد لهُ مثيلاً . ومن المحتمل ان يكون هذا الحر قد اتلف جانبًا كبيرًا من دود القطن او منعهُ من الخروج من بيضهِ واماتهُ فيهِ الاَّ ان ذلك لا يعني البلاد من الاهتمام باستئصال هذه الآفة وكل الآفات التي تصيب موسم القطن لان عليهِ اعتماد القطر المصري معاشيًّا .

ثم قال عظمتهُ « واني اشكر الله لان الحرب الطاحنة الناشبة الآن لم تمنعنا من اصدار قطننا وبيعهِ بثمن جيد يقوم بالنفقات المتزايدة » . واستطرد الكلام الى الخسارة الفادحة التي حلت بالامم المتحاربة في المال والرجال والى الخسارة الكبرى التي خسرتها بريطانيا العظمى وشاركها مصر فيها وهي غرق لورد كتشنر القائد العظيم والاداري الحكيم الى ان قال « وقد سرني ان ادل بلادي يقدرون قدر الرجال حق اهتم اهالي الاسكندرية باقامة تذكار للورد كتشنر اهتمامًا يذكر فيشكر ولكن لو كان لورد كتشنر حيًّا الآن واستشرتهُ فيما يريد ان يكون هذا التذكار الذي تقيمهُ لهُ اكنت تظن يا دكتور انهُ يشير باقامة تمثال لهُ . كلاَّ بل لاشار بما هو اهم من ذلك اي باحتياج اليهِ البلاد التي كان يحبها حبًّا جمًّا . فاني اعرف لورد كتشنر تمام المعرفة . عرفتهُ وهو ضابط صغير وعرفتهُ في كل درجات ارتقائهِ الى ان بلغ اسماها وعرفت ما كان يتمناهُ لهذا القطر . فانهُ كان يعرف ان القطر المصري محتاج الى

الضروريات قبل الكماليات تحتاج الى ما يصلح شؤون الجمهور الاكبر من سكانه الى ما يزيد ثروتهم ويحسن صحتهم ويوفر راحتهم ويثقف عقولهم . انظر الى ما اشار هو به وبذل اقصى جهده في انشائه تذكاراً للبطل غوردون باشا وهو مدرسة غوردون الكلية في الخرطوم التي قصد ان تكون مصدر علم ونور في بلاد السودان ووسيلة ترقية السودانيين علماً وصناعة

« نعم لو كان لورد كتشنر بيننا الآن واستشرناه فيما يزيد ان تقيمه تذكاراً له او لرجل مثله خدم هذا القطر كما خدمه هو لوقف في مجلس الاسكندرية البلدي ورفع صوته جهرة وقال انظروا ما هي المنشآت العمومية النافعة التي تحتاج اليها مدينتكم وبلادكم وليكن هذا التذكار من نوعها

« وما اكثر المنشآت العمومية النافعة بل الضرورية التي نحن في حاجة ماسة اليها فليس عندنا مثلاً مستشفى خاص بالنساء ولاسيما بالفقيرات المعوزات منهن حيث يفحص ويطبب ويعتنى بهن الاعتناء الواجب . ومستشفى مثل هذا لا تكون فائدته مقصورة على تطبيب النساء فقيرات كن فيطببن مجاناً او غنيات فيدفعن اجور تطبيبهن بل يكون بمثابة مدرسة لتعلم فيه الطبيبات امراض النساء ويتمرن على معالجتهن وتمريضهن . ولا شبهة ان تعليم فن الطب للنساء امر مهم جداً وقد تأخر الاوربيون في فتح مدارسهم الطبية لتعليم النساء هذا الفن الجليل ولكنهم رأوا غلطهم اخيراً وجعلوا يعلمونهن فن الطب كما يعلمونه للرجال فقام منهن طبيبات مشهورات وقد برعن في بعض الممالك الاوربية حتى جارين مشاهير الاطباء . ونحن في هذه البلاد الشرقية احوج من اهالي اوربا الى الطبيبات كما لا يخفى ولو لتطبيب النساء فقط ونحتاج الى مئات منهن . ولا افضل من مستشفى مثل هذا لتخريج الطبيبات الماهرات اللواتي يقرن العلم بالعمل فبلما يخرجن لممارسة صناعة الطب . ولا شبهة عندي ان بناتنا قادرات على تعلم فن الطب وممارسته والنبوغ فيه فقد رأيت اللواتي تعلمن فن التعليم وممارسته في المدارس التي زرتها فوجدتهن فائقات بما يطلب منهن احسن قيام فلماذا لم يفكر رجال المجلس البلدي الفضلاء في انشاء مستشفى مثل هذا تذكاراً للورد كتشنر مهما بلغت نفقات انشائه . اما ما يقتضيه نظام الدروس اللازمة لطالبات الطب فهو موضوع اهتماي وسيدبر على احسن سبيل

« ثم ان الاسكندرية محرومة من مستشفى للمصابين بالامراض العقلية . والآن يرسل الذين يصابون بهذه الامراض الى مستشفى العباسية . وقد بلغني ان مدير ذلك المستشفى طالما شكا من وجوده في مكان حار جاف الهواء كالعباسية او الخانقا وود لو كان في مكان

من ابرد الاماكن هواء في القطر المصري كضواحي الاسكندرية لان نوبات الجنون تشتد غالباً وقت اشتداد الحر فلا يمكن من الحكمة ولا من الشفقة ان يرسل المصابون بالامراض العقلية من الاسكندرية الى العباسية بل واجب الشفقة يقضي ان ينشأ لهم مستشفى في ضواحي الاسكندرية مهما قلّ عددهم . وغنيٌّ عن البيان ان كل بلاد عدد سكانها مثل عدد سكان القطر المصري تحتاج الى مستشفيين او ثلاثة او اكثر للذين يبتليهم الله بالامراض العقلية من سكانها . فهذا ملجأ خيري آخر تحتاج اليه البلاد وفائدتهُ كبيرة جداً في شفاء الامراض العقلية سواء كان المصابون بها من سكان الاسكندرية او غيرها

« ومما يجري هذا المجرى واستغرب جداً كيف لم يحلّهُ فضلاء الاسكندرية المحل الذي يستحقهُ من الاهمية اقتداء باخوانهم اهالي العاصمة هو انشاء ملجإ للاسعاف في الحوادث الفجائية فان من يرى رجال جمعية الاسعاف في القاهرة يبادرون حالاً الى كل مكان يدعون اليهِ حيث يصاب احد باصابة ما لا يسعهُ الاَّ شكرهم والاعجاب بهمتهم والتنويه بفضلهم وفضل الذين انشأوا هذه الجمعية وملجأها . فلماذا لا يكون في الاسكندرية وهي العاصمة الثانية لبلادي ملجأٌ مثل هذا و يسمى ملجأ لورد كتشنر للاسعاف

« هذه مشروعات ثلاثة خطرت على بالي الآن واذا شاء اهالي الاسكندرية بل اهالي القطر المصري عموماً ان يكتبوا لانشاء اثنين منها او ثلاثة فانا مستعد ان افتتح قائمة الاكتتاب بخمس مئة جنيه ولي الامل الوطيد ان ارى من غيرة اهالي بلادي ما يحقق ولو امنية واحدة من هذه الاماني . ويحسن ان يمتد زمن الاكتتاب لغاية شهر نوفمبر المقبل »

وكان عظمتهُ يتدفق في الكلام تدفقاً كان يشعر في اعماق نفسهِ ان منفعة بلاده يجب ان تكون الغاية العظمى التي اليها يسعى وبها يهتم ولاسيما اذا امكن الجمع بينها وبين غاية اخرى ادبية وهي تكريم جندي باسل واداري حازم ورجل فاضل كان يقول ان اقصى ما يتمناهُ هو نفع هذا القطر

ولما اتمّ عظمتهُ هذا الكلام الذي هو عين الصواب استأذنتهُ في كتابة ما وعتهُ الذاكرة منهُ ونشرهِ فقال

« ان كنت يا دكتور قد ادركت غايتي تماماً فانا اسمح لك بنشرهِ و بان تقول عني لساني انني افتتح قائمة الاكتتاب بخمس مئة جنيه »

فكررت الشكر لعظمتهِ وخرجت من الحضرة وانا ادعو بطول عمرهِ واغبط مصر لان الله منَّ عليها بسلطان حكيم كريم مثقف في خدمتها ورفع منارها

حديث مع مخامة نائب الملك

وبعد اثني عشر يوماً قابلت مخامة نائب الملك ووقفت على رأيه في هذا الشأن . فبعد المذاكرة في مواضيع عمومية مختلفة قال انهُ هو والشعب الانكليزي عموماً شاعرون في اعماق نفوسهم بما ابداهُ لهم الشعب المصري من العواطف الكريمة في الخسارة الفادحة التي المت بانكلترا حديثاً وبما اظهرهُ المصريون من اثناء انفسهم من الرغبة في اقامة تذكار لذلك الرجل العظيم الذي اشتغل بينهم زماناً طويلاً . ولقد اثر ذلك في نفسهِ تأثيراً عميقاً لا ينساهُ ابداً . قال « ومما يدعو الى السرور والارتياح التام اتفاق الجميع على الغرض الذي يرمون اليهِ فلم يبقَ على بساط البحث الاَّ الاسلوب الذي يحقق بهِ هذا الغرض

« وعند الاعتراف بالاعمال الجليلة التي عملها ذلك الرجل العظيم وهو في منصبهِ الاداري يحسن ان لا يبرح من البال نوع تلك الاعمال فان اكثرها كان من النوع الذي منهُ نفع عملي اي مما يدعو الى اصلاح احوال الحياة . والذين يعرفون لورد كتشنر تمام المعرفة لا يرتابون انهُ لو كان حاضراً بيننا الآن وابدى رأيهُ في المشروعات المختلفة التي اشير بها تذكاراً لهُ لاختار منها ما ينفع المصريين وتزيد بهِ راحتهم ورفاهتهم ولذلك فكل مشروع ادبي مثل اقامة تمثال يجب ان يستبعد على نوع ما من قبيل الكماليات التي تضاف الى مشروع عملي لهُ نفع عام ولو كان التمثال من المفاخر التي تطلب لذاتها . وهذا ما فعلتهُ بعض مدن الاقاليم التي اطلقت اسم لورد كتشنر على بعض السكك والشوارع والاسبلة

« والمشروع الذي اتجهت اليهِ الانظار الآن وكان الفضل في اقتراحهِ لصاحب العظمة السلطان هو انشاء مستشفى كبير للنساء في القاهرة يسمى مستشفى كتشنر ويكون محتوياً على مدرسة وقاعات لالقاء الدروس الطبية وعمل العمليات الجراحية لاجل تعليم الطبيبات وتمرينهن حتى يصرن اهلاً للتطبيب في هذا القطر ويكون منهن طبيبات لمستشفيات النساء التي تنشأ في المديريات في المستقبل . والادلة كثيرة على لزوم مستشفى مثل هذا فانهُ ليس في القطر المصري الآن مستشفى للنساء . ولقد كان معدّل وفيات الاطفال اكثر مما هو الآن كما هو معلوم بسبب جهل نساء الارياف وقلة وسائطهن الصحية وظلت الحال كذلك حتى وجه لورد كتشنر عنايتهُ الى هذا الموضوع فاشار باقامة القوابل في قرى الارياف ودل بهذا على اهتمامهِ بامور العامة واحوالهم الصحية . وهذا الاهتمام من المزايا التي امتاز بها

الرجل الذي نريد الآن اكرام ذكراهُ فالاستمرار على المبدأ الذي عني به هو وتوسيع نطاقهِ حقيقان بان نتجه اليهما الانظار في هذه الآونة »

ثم قال نخامتهُ « ان تذكار لورد كتشنر لا يلزم ان يكون مقيداً بهذا المشروع الذي بسطتهُ فاذا خطر على بال احد مشروع انفع منهُ قوبل بالترحيب وبما يستحق من البحث والتروي . واذا اتفق لمدينة او جماعة ان تجد اسباباً خصوصية لاقامة تذكار محلي عندها فليس ما يمنع النظر في ما تريد النظر فيهِ بالطرق المعتادة »

وافاض في الحديث بعد ذلك عن كيفية انشاء هذا المتنزه واداراته في المستقبل . ويظهر لي ان نخامتهُ مقتنع تمام الاقتناع بشدة الحاجة اليهِ ووائق ان اهالي القطر يلبون نداء سلطانهم و يقبلون على الاكتتاب في مشروع تعود فائدتهُ عليهم لان العلبيات اللواتي يخرجن في هذا المتنزه تنشأ لهن مستشفيات في سائر انحاء القطر لكي تستفيد البلاد كلها منهن »

شكسبير

كيفية وصولهِ الى الشهرة

اشرنا في الجزئيين الماضيين الى الدلائل التي تدلُّ على ما لشكسبير من الشهرة الواسعة واسبابها ووعدنا ان نشير الى كيفية وصولهِ اليها عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى اصلاح التمثيل العربي

والشهرة اثمن المقتنيات فلا تنال عفواً ولا يشتهر احد في مطلب من المطالب الاَّ وفي طبعهِ واحوالهِ ووسائلهِ ما يتيلهُ هذه الشهرة . والشعراء ارباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحكم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح يجب ان يكونوا في بلاد كثرت تجادها ووهادها وانهارها وغدرانها وسهولها ووعورها ورياضها وغياضها كالشام وسوريسرا وفرنسا وانكلترا وبعض جهات اليمن ونجد وان يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة واخبار الامم ووقائع الحروب وسياسات الدول واساليب الاحكام . ويحصلوا ممَّا انشأهُ ارباب الكلام وناظمو جواهر المعاني من نحو العبرانيين والمصريين والاشوريين واليونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود وغيرهم من امم المشرق والمغرب . اذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل وكان بالفطرة الموروثة ميالاً الى ابتكار المعاني ونظم القريض سهل عليهِ التبريز على الاقران والاستيلاء على العقول . وكان شكسبير من